أذن روبرت ورأس محمد!

نحن أثرياء، وأثرياء جدا بعبارات التهديد وامثلة الوعيد. قلنا "طفح الكيل"، وقلنا "بلغ السيل الزّبى" وقلنا "سأكيل الصاع صاعين". وعلى السدة كثير من هذه العدة انما ماذا بعد هذا؟

لقد تندر العالم في الخمسينات على "انذارات الصين"، واصبحت الصين أنذاك مضربا للمثل في القول بلا فعل. بيد إن الصين تمكنت من تجاوز محنتها وإستردت شيئا من هيبتها.

واذا كان لا بد للعالم من مادة للتندر فقد اصبحنا نحن هذه المادة. بينما تصم الآذان اناشيد اذا عاتنا للعزة والشمم، وبينما تنضح جرائدنا بحبر الإباء والعنفوان، فان الاهانات تنهمر على خدودنا المصعرة .. وبقدر ما ترتفع فرقعة اناشيدنا الحماسية.

لم يترك المثل شيئا الا وقاله. ومن اشياء المثل :"الخد الذليل يعلم الجبان المرجلة". وللاسف الشديد فان خدنا اليوم ذليل ذليل. فلماذا لا يتمرجل علينا الشجاع والجبان والطويل والقصير والقريب والبعيد والاسود والاصفر والابيض والازرق؟

إنهم يجرحوننا اربعا وعشرين ساعة في اليوم وثلاثين يوما في الشهر وعلى مدار السنة. لو كنا في عداد الموتى لاكتفينا بحكمة الشاعر: ما لجرح بميت ايلام! الا اننا نتألم..وانا اتألم اذن انا موجود.

ونحن موجودون. ما زلنا موجودين. يكفي ان نتحسس ارواحنا وأن نتلمس اجسادنا لنكتشف اننا لم نغادر عتبة الحياة بعد. ويكفي أن نصرخ قليلا حتى يحسب لنا الاعداء حساباء ولو بعض الحساب.

تهيننا اميركا فلا يتحرك لنا عصب. وتهيننا بريطانيا فلا يندى لنا جبين وتهيننا فرنسا فلا ينبض لنا عرق. حتى الدول اللقيطة مثل كندا واستراليا اصبحت مهيأة تماما للتمادي علينا واهانتنا دون أن تتلقى منا رد فعل مناسبا.. اي رد فعل!

وأما عن "اسرائيل" فماذا اقول ولا اقول؟ لم تحمل لنا "اسرائيل" الحب في يوم من الايام وهي لا تحب احدا منا اليوم، لا السادات ولا حسني ولا حسين ولا الحسن.

وهي لم تحترمنا في يوم من الايام ولا تحترم احدا منا اليوم. وكل ما بقي لنا منها هو بعض الكراهية الحقيقية التي تسرها وتعلنها ضد اولئك الذين يجرؤون على مواجهتها واحترام الذات.

لقد بلغت جرأتهم علينا ما بلغه استخفافهم بنا، حتى ان "محمد" أصبح هدفا للتدريب العسكري!!، وبناء على ما نشرته صحفهم في الاونة الاخيرة فان الامر العسكري باطلاق النار في احد معسكرات التدريب هو ببساطة: "محمد .. نار".

وقد يكون المقصود هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام! او ولدي محمد او محمد محمد او محمد حسني او محمد الياس او محمد حنا.. او اي محمد بمعنى اي عربي.

"استضعفوك فوصفوك" .. وما انطبق في حينه على الدجاجة ينطبق اليوم علينا نحن. فماذا نفعل بدجاجيتنا المزرية هذه؟

لنأخذ العبرة من حيث تاتي انصع خبرا واوقع أثرا.

بالامس القريب، ويوم كانت لندن تنهش لحمنا كنا نحن

نستضعفها ونتوعدها منشدين:

مندوب خبر دولتك لندن مرابط خيلنا

لندن هذه التي جعلت عروشنا مرابط خيلها، ذاقت مرارة الاهانة هي الاخرى الا إنها لم تسكت عن الاهانة ولم تلعق جراحها استكانة وتسليما.

لندن هذه، وقبل قرنين ونصف القرن تقريبا شنت على اسبانيا حربا لا رحمة فيها بسبب "اذن"! فقد اعترض الاسطول الاسباني سنة ١٧٣١ سفينة انكليزية وقطع الاسبان احدى اذني قائد السفينة روبرت جانكن مهددين: " قل لملكك في لندن انه لو كان هنا لقطعنا اذنه".

وكانت النتيجة أن الانكليز استعدوا ثمانية اعوام بكاملها حتى شنوا حرب الرد على الاهانة.

حرب في سبيل اذن روبرت .. فماذا بشان رأس محمد؟!

«صوت البلاد» ١٩٨٧/١١/١٩